الجهاد الأفغاني.. بعيدًا عن اليأس

كنت أريد أن أضع عنوانًا «خطوطيًا» مثل الجهاد في أفغانستان . . النداء الأخير!! ولكني خشيت من بعض القراء الذين يكتفون بقراءة عنوان المقالات دون الغوص فيها، فيفهم من العنوان أن الجهاد في أفغانستان يعاني مما نسميه بالعدِّ التنازلي.

وشهر رمضان المبارك ١٤١٢هـ أثبت لنا عمليًا أن الجهاد في أفغانستان لا يزال فتيًا قويًا وأحداث متوقعة في شهر شوال وشهر ذي القعدة ينتظر منها أن تثبت ذلك أكثر عملية، وأحداث كابول في العشر الأواخر من رمضان بعد إعلان نجيب الله عزمه على الاستقالة كلها مؤشرات إلى أن النصر آتٍ بإذن الله.

ثم إننا أمة لا يعرف اليأس له علينا طريقًا ﴿ . . **ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ [يوسف ٨٧]. ونحن كذلك أمة لا نعرف القنوط ﴿ . . **قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾[الحجر ٥٦].

والجهاد في أفغانستان إنما قام بتوفيق من الله ـ تعالى ـ ثم بالوقفة التاريخية للمسلمين في كل مكان. ولعنا لا ننسى الدعوات في كل خطبة جمعة، وفي كل دعاء قنوت أن ينصر الله المجاهدين في كل مكان، بل كان التصريح بنصر المجاهدين في أفغانستان إذا ما كان هناك تحديد للمكان، وكانت الدعوات للتثبيت، ثم يأتي بعد ذلك الدعم المادي من خلال حملات التبرعات في الجوامع والمساجد والمحاضرات والأسواق ودعوة رجال الأعمال والموسرين من المحسنين. وإن شهر رمضان المبارك هو القياس لمدى الدعم، وبفضل من الله تعالى أن هذا الشهر المنصرم ١٤١٢هـ كان ذا نتائج جيدة في دعم المجاهدين في أفغانستان لدى أكثر من هيئة تعمل لصالح

المسلمين في كل مكان بما في ذلك أفغانستان.

أقول هذا في الوقت الذي تفتحت فيه جبهات أخرى جديدة في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي سابقًا، **وفي الصومال** وفي بورما وفي كشمير، ورغم قدم قضية كشمير إلا أنها الآن أخذت توجهًا جهاديًا أكثر وضوحًا مما كانت عليه من قبل، مما جعل بعض المعنيين بالقضية يأخذ الحذر من أن تصبح مثل أفغانستان وجهة للمجاهدين من كل مكان.

وبعيدًا عن أروقة الأمم المتحدة والطاولات المستديرة والمستطيلة والمشروعات التي تسعى إلى إنهاء القضية سلميًا ينبغي أن نؤكد أن المجاهدين الأفغان كانوا يسعون إلى الحل السلمي منذ ثلاث عشرة سنة، وخوضهم للجهاد في ميادين القتال لم يكن رغبة في القتال هدفا ولكن كان موقفهم موقف الشاعر:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبًا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

إذًا مبدأ إنهاء القضية سلميًا مبدأ يتعطش له المجاهدون بشروطهم وهي أن يكونوا هم الأعلون، وأن يقيموا دولتهم الإسلامية على أرضهم الإسلامية، وما علمنا من أحد منهم رفضًا لهذا الهدف والغاية، أما أن تسعى الأطراف إلى الحلول السلمية القائمة على وضع ذائب غامض تشترك فيه جميع الأطراف الموجودة على الساحة، بما فيها الأطراف ذات التوجهات الإلحادية المفروضة على الساحة الأفغانية فإن هذا ما قام المجاهدون به من أجل التغلب عليه بتوفيق من الله.

إن النظام الشيوعي في كابول يلفظ أنفاسه الأخيرة، فقد دب النزاع في صفوفه رغم ما يقال عن قوة عناد قادته وتمردهم على سادتهم وكبرائهم في موسكو إلا أنه ـ على ما يبدو ـ تقتضي إرادة الله أن تنكشف لعبة دولية دامت أكثر من سبعين عامًا وراحت لها ضحايا كثيرة من الأجساد والأفكار التي لا تزال في بعض أصقاع العالم الإسلامي تحلم في خلافة الشيوعية السوفيتية

على أرض إسلامية، وهيهات.

إن الوقفة مع المجاهدين الأفغان وهم بصدد قطف الثمرة أمر حتمي على أولئك الذين وقفوا معهم في البداية، ودعموهم طيلة السنين الماضية خوفًا من أن تكون الثمرة مُرَّة، أو أن يقطفها غير أولئك الذين زرعوا شجرتها وسقوها بدمائهم وأجسادهم الطاهرة الزكية.

إني أحسُّ رائحة اليأس والقنوط لدى بعض المتابعين مما يرفض معه السكوت على مثل هذا الشعور، رغم عدم الاعتراف بأنه يأس أو قنوط وإلا لأضحى اليائس من القوم الكافرين، والقانط من الضالين، ولا أحد يريد هذا. ومثل هذا الموقف يؤثر ـ ولا شك ـ على المجاهدين الذين عرفوا غير هذا من الدعم المعنوي والمادي وهم في بداية طريقهم الجهادي، فلا يريدون أن يسمعوا خلافه وهم في نهاية مسيرتهم الجهادية، وكان الله في عون الجميع.